في الأدب

مكتبتي ..!

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

مكتبتي شيء لا أول له ولا آخر ، ولست أعني أنها كبيرة ضخمة ، ولكنما أعني أنها من سوء الترتيب بحيث أصبح طلب الكتاب كالملغاص في درك اللجة ، وذلك لأن الكتب لا تزال كما شاء أن بنمها الخادم الذي وكلت إليه إخراجها من الصناديق والغرائر ، وضعها على الرفوف ، إلى أن يتيسر لي أن أرتبها على النحو الذي يروقني ، وإذا علمت أن لي في بيتي هذا ثلاث سنوات ، وأني ما زلت أرجيء ترتيبها من يوم إلى يوم ، فأنك حقيق أن تدرك أن « النحو الذي يروقني » قد تكون أنت اعرف به مني ، وقد حدث لما انتقلت إلى البيت الذي أنا فيه الآن ، أن سألني الخادم « أين تريد أن تكون المكتبة ؟ » فاخترت خير الغرف وأوسعها رقعة ، وأكثرها هواء وشمسا وقلت « هذه » بلهجة المصمم ، ورضيت عن نفسي بعد أن أكرمت مكتبي بهذا الاختيار ، وشرعنا نقيم الرفوف متحاذية متوازية ، ليكون منظرها أمتع ، ثم فتحنا الصناديق ، وبدأنا نخرج ما فيها ، فسألني الخادم !

« كيف تريد أن أرتبها » ؟

فأطرقت أفكر ، كأني ما احتجت إلى التفكير في ذلك من قبل ، أن كنت من كثرة التنقل بين البيوت كالرجال الذين يعيشون في الخيام ، ولم يفتح الله على بشيء ، فقلت متهربا

« منعها كيفما اتفق الآن ، لنخرج هذه الصناديق أولا ، على أن نعيد ترتيبها في يوم يكون ألطف جوا وأقل وقدة »

فراح يحمل على ذراعه صفا بعد صف ، إلى أن اتفق أن أخذت عيني كتابا عليه اسمي ، وكان ملما بالقراءة والكتابة ، فابتسم وهو يسألني :

« هل ألفت هذا ياسيدي » ؟

فخجلت وقلت « نعم »

فمضى في عمله من غير أن يجيب بكلمة تدون على نفسي الأمر ، وصار بعد ذلك لا يضع كتابا إلا بعد أن ينظر إلى مكان اسم المؤلف ، فلم يقع على اسمي مرة أخرى لأني عنيت بأن ألقط كتبي وأخفيها عن عينه ، وكأنه استقل ألا يكون لي سوى كتاب بين هذه المئات ؛ فجعل يهز رأسه منكرا أو آسفا او لا أدري لماذا على التحقيق ، وكأني به قد حدث نفسه أن

الكتابة مهنة لا تكلف المرء عملا يستحق الذكر . وفرغ من وصف الكتب المجلدة ، وانتقل إلى كومة الكتب التي أهمل تجليدها فتفككت بسبب ذلك وتناثرت أوراقها واختلطت ، فالتفت إلى بأسى وأدركته بهذا الأمر :

« كدسها كيفما اتفق أيضا ، سنرتبها فيما بعد . »

ولم يكن المستطاع وضعها كلها على الرفوف ، فانتقى السلم منها ورصه ، وعمد إلى المتفكك فكومه فى ركن وكنس الغرفة وأغلقها وانصرفنا .

ولما تم انتقالنا إلى البيت . دخلت والدتى الغرفة — أعنى المكتبة — وأدارت فيها نظرة ، ثم نادت الخادم وقالت له :

« أنا واثقة أن سيدك سيترك الغرفة على هذا الحال ما دمنا فى هذا البيت ، فلا معنى لحرماننا خير غرفة فى البيت ، فانقل هذا المكتب إلى الغرفة القبلية المجاورة للمطبخ » .

فقال الخادم « حاضر » وجاءنى ليسر لى الأمر الذى تلقاه ، والغريب أنى لم أدهش ولا سخطت ، وإنى ألفيتنى فى قرارة نفسى موافقا لوالدتى وإن كنت لا أفتأ أؤكد أنى سأرتب الكتب وأنه لا ينقصنى إلا يوم رائق الجو . وموضع الإشكال أنى لا أدرى كيف أرتبها ، فهل أجعل الترتيب حسب المواضيع ؟ إذن نخسر المنظر فيجىء كتاب ضخم طويل عريض إلى جانب الأبيض وهكذا . أو أرتبها على حسب الألوان أو الحجوم ؟ إذن تتبعثر المواضيع ويتعذر الاهتداء إلى الكتاب المطلوب . فالمسألة عويصة كما ترى ، ولعل خير نظام هو الذى ذهب إليه خادمى ، ومن أجل هذا ترانى أتجنب أن أتعرض له بأى تنقيح وقد كانت النتيجة أن المكتبة صارت مكتبة « شكلا » أعنى أنى لا أكاد أدخلها . إذ كان العثور على كتاب يتطلب من الصبر وطول البال مالا قبل لى به ، ومن أجل هذا صرت إذا احتجت إلى كتاب أشتريه مرة أخرى ، وأرى ذلك أسهل وأقل عناء من الوصول إليه فى مكتبتى . ؟

مأثورات

* إن من عادة الدنيا أنها تسترد ما تعطى فتسلب الغنى بالفقر ، والولد بالثكل ، والراحة بالتعب ، والصفاء بالكدر . وهكذا فلو أنها بخلت علوهبت لاراحتنا من ألم الحسرة على ما تأخذه منا .

* إن من طبع الدنيا أن لا تترك لنا ما نحب . فمن العبث إذاً أن نطالبها برد ما تأخذ لأن ذلك ضد طباعها .

* تتهافت على حب الدنيا ونحن نعلم أنها ستبدد شملنا كما فعلت عن قبلنا .

* لا يبقى لك حبيب فى هذه الدنيا لسيرها إلى الفناء كما ترى فى منامك أشياء تسرها فاذا انتبهت لم تجدها .

* إن أكثر الناس تعبا من كثرت حاجاته إلى الدنيا وعجز عن نوال مراده منها .

(الواحات الداخلة)

محمد عبد الفتاح سمير
مدرس بالراشدة الأزهرية

في جوف الليل

انحدرت الشمس إلى المغرب ، انحدار الأصفر المعبود في باقة من الورد ؛ هجم الليل الدامس بجيوشه الجرارة على فلول النهار فصرعها بسيفه المسلول ، سكب الظلام الحالك في قلب الكون مداده الأسود ، أسدل الليل البهيم ستائره المكفهرة على السهول والبطاح . . . . انقطعت الأصوات .. خلت الطرقات .. شمل الهدوء الأنحاء ... غمرت الوحشة الأطراف .. هجمت الناس في المراقد .. عقد طائر الكرى فوق الجفون .. راحوا في سبات عميق إلا ..

إلا مريض بداء عضال ، ومرض جسيم حارت في برئه نطس الأطباء ، فصيره لا يذوق للنوم طعما ، ولا للكرى مذاقا ، وجعل فراشه كهراش الأبر : وأصبح جسمه تتقد فيه النيران وأضلاعه تتفتت بالاحتراق ... ...

وغلام مسكين هصرت المنية غصن والديه ، واختطف ملك الموت أبويه ، فتركاه شريدا ، طريدا بائسا ، ليس له مأوى يأوى فيه ، ولا قلب حنون يحن عليه ، ولا فؤاد شفيق يشفق به . ويعطف عليه ، بالي الأسمال ، مرقع الجلباب حافي القدم .

ورجل عصفت به زوابع الأقدار ، وحطمته أعاصير الدهر الهوجاء ، . وقصمت ظهره عواصف الحياة ، وطوح به الزمان القاسي الجبار ، . . . فبدل من غناه فقرا ، ومن سعده نحسا ، ومن عزه شقاء ، ومن فرحه ترحا ... فأضحى لا تكتحل عيناه بهجود الليل ؛ ويقضيه في هم يؤرقه ، وكدر يسهده ، وألم يقتله ؛ وشقاء يعنيه ، وحسرة تمزقه .. وفتاة جبلة المحيا جذابة الملامح ؛ رشيقة القوام ، عيقاء القد ، ناعسة العين ، خدعها إبليس الآنس ، وغرر بها شيطان البشر ، وغواها شاب فاسد الخلق ، دنيء الطباع فسلمت إليه درتها الثمينة ، والتمنته على عرضها المصون ، وشرفها الثمين ، وتحت تأثير آمال معسولة ، وأماني خلابة ، سلبها الدرة ، وأفقدها العرض ، وتلها الشرف ... فنبتت البذرة ، وأصبحت شجرة متفرعة الأغصان : أثمرت جنينا يتحرك في أحشائها ، فهي تقضي ليلها المظلم تستعطر العبرات وتذرف الدموع حارة ، تئن أنين المذبوح ، وتتوجع توجع المكلوم ، وتتأوه تأوه المجروح تندب حظها ، وسوء ما كلها ؛ وتبكي عاقبة طيشها ، وخاتمة سيرها في طريق وعرة المسالك ، واستسلامها لكلبات خاسرة جوفاء ... فهي لا تجد عزاء ، ولا سلوى سوى دمعة تذرفها ، وعبرة تعطرها ، وآهة تبعثها ، وأنة تصدرها ، وزفرة ترسلها ، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا . . . . . و . . . . و . . . .

فأيها الليل : إنك لغز غامض ، وسر خفي ، فيك تتجمع هموم الإنسان ، وتتراكم أكداره ، وتتجمع ذكرياته ، وتنصب آلامه .. يا ليل : أنت صامت ، وفي صمتك حكمة .. يا ليل : أنت ساكن ، وفي سكونك موعظة .. يا ليل : أنت موحش ، وفي وحشتك آية بالغة ..

(منيا القمح)

ابراهيم محمود الضبائي
مدرس بالمشروع الاول

إنكران ..

— ... ماذا يضيرني ؟ . بل ماذا ينال مني مهما أنكرت وجهلت أو تجوهلت ؟

— أنا الزهرة المفتحة يعبق الجو شذاها ويحمل النسيم طيبها فينهش المارة . . لاحجاب يحجبني ولا أحد يمنعني من نشر رائحتي الزكية . . ولكن . . ما أمر على أن يهملني متعهدي بالري والغذاء فيحرم الناس شذاي وأمسي حطبا « بعد أن كنت زهرة » ! .

— أنا الأساس وقد غصت في الثرى قائما أحمل شاهقا منيفا يتمتع به المالك و الساكن ويسر الرائي حسنه وجمال وضعه دون أن يذكرني أحد هؤلاء . . ولكن . . ما أمر على نفسي ولا ألم لها من أن يهملني مالكي فلا يزال يغض النظر عن المياه الراكدة حولي حتى أتفكك فينهدك فوق رأسي ما أحمل

— ... ماذا يضيرني . ؟ . بل ماذا ينال مني مهما أنكرت وجهلت أو تجوهلت . ! .

— أنا المصباح سخرني صاحبي أحمر له دياجير الظلمات وأنير له السبيل فيأمن العثرة والزلل إذ يكون في الليل كأنه في النهار . سواء بسواء . لكن ما ألم على نفسي إذ يهملني صاحبي فيمنع السراج ، فيضحي هو في ظلام . وأصبح أنا والظلام سواء .

— أنا الشمعة أذري وأفني مسرورة بلذة الاحتراق حينما أؤدي مهمتي في سبيل منفعة الغير ومصلحته فأظل أتواري في نظام بطيء بينما نوري يشع مبددا حجب الظلام : . . ولكن . . ما أمر على نفسي من أن أراني مهملة إذ يمنعني صاحبي في مكان جد حار يسرع بي إلى الفناء . فيمسي قبل الميعاد محروما حدابتي وأمسي بقايا غير ذي جدوى

— ... ماذا يضيرني ؟ . بل ماذا ينال مني مهما أنكرت وجهلت أو تجوهلت . !

— أنا نبراس المستقبل للشعوب . مصقل العقول للأمم . مخرج للأجيال نماذجا من الرقي هي أقرب ما يكون إلى الكمال . منير حوالك ظلمات الأفكار أحررها ما وسعني الجهد بما وهبني الله من سير ، ماذا يضيرني إذ ينكرني قصير النظر للمستقبل ولا يعرف قدري من لم تشب فيه ناحية التقدير . ووزن الأعمال بميزان . ماذا يضيرني قول القائلين واقتراء المفترين واختلاف المختلفين . . كل ذلك لا يؤثر في شيء أنا ماض في سبيلي أمهد الطريق للوطن في أمانة . . ولكن . لا ألم على نفسي ولا أخوف لها أن يمنع عني أولو الأمر مادة الحياة وطريق الأمل فأضحى أنا والحاكي سواء . ألقى في تنابع وفي غير ما وعي وإدراك ما ملىء به جوفي بغير تميز وترو فتحرم الأجيال من شعوب تستمد منها العون . . وحينئذ . . ويل لمجتبة أصوغها بيدي إذ أنا ذاهل مشدوه ، بعد أن صكنت نبراسا أضيء

(الواحات الداخلة)

محمود محمد صالح

المدرس بمدرسة موط

قبلة (١)

على ثغر اليتيمة ، قبلة فضت بالحب والألم ، ! قبلة ناءت بالرقة والهم ! قبلة فرحت جذلى وتاهت بين طيات الهواء وتلاشت . . وصداها في فؤادي لا يسكنه أنين ، مضت .. وجراحها بين جنبي لا تطفئه غلاظ الدموع . . .

رقمت وجهها المستدير بيديها العاريتين إلا من بثرة لفحها لهيب الشمس ، وأيبسها صقيع البرد ، وضغطت بأصابع يدها اليسرى على شعرها الذهبي الذي كأنه نسيج من خيوط الشمس وقت الغروب ، وخاضت أنامل يدها اليمنى في غصن خديها الناضرين حول ثغرها الأحمر الصغير ، وكأنها رسمت أعلام البؤس على وجهها ، ثم جنت عليها بشبابها المهلهل ؛ وطبعت على هذا الثغر قبلة يائسة ، إلا من حنين مذاب ، خيل إلي كأنها ليل حالك كئيب حزين ، حتى وأرخى سدوله ، ثم قبل ثغر الصباح قبلة الوداع ... هذا وأنا مار بهما في الطريق فتجمعت أحاسيسي واضطربت ، قلت بلهف شديد وصوت لا أعرفه ، ولا سمعته من نفسي إلا في هذا الوقت (ياستار ! ! !) فغابت عني في غمرتها ، ولم تسمع زفرتي وأنيني ! ! ! وغبت عنهما بين دمع في المحاجر حائر ، وقلب بين الأضالع سادر .. وابتعدت قليلا وأخذت أردد . . . . يارب رحمة بالضعفاء والمساكين ... ثم رفعت نفسها عن الطفلة ، فلاح وجهها المشرق الكئيب ، وكأن القبلة سجلت فوق ثغر هذه الطفلة معنى البؤس والشقاء ، لأنها قبلة ذابت في ثغرها من نفس مذابة ، وقلب ملتاع حزين !

« مسكينة أنت أيتها الطفلة . . هاهي تلقنك آيات البؤس ! ! ! هاهي تطبع على وجهك كل حين مياسم النحس ، هاهي تعلمك النواح كيف يكون ... ها أنت تسمعين زفراتها التي تحز القلوب ... واهاً لك من عبرات تسيل وأنات تنحدر من أعماق قلبها الكسير ! !

أيتها الطفلة اليتيمة سدى أذنيك إن أنت ، أغمضي عينيك إن بكت على الماضي وحشة العمى وامرحي مع أترابك إن ناحت ، امسحي خديك إن قبلتك ، ضمي ثغرك إن أرادت رشفه .. لهفي على غصنك الندي الرطيب من ثقل هذا الجسم الواهي ... » .

بهذا كنت أغمغم وأنا متكئ على وسادتي التي بللتها بدموعي ، وكأن هذه القبلة فجرت ينابيع اللوعات في قلبي ! ! ! فأرقت وأرق ليلي ونمت ، ولكن لم أنم إلا في أحلام الأسى والألم ! ! ! واستفقت فكتبت ، ولكن لم أبن عن كل ماحل بي ولم ! ! !

محمود محمد الروضي
المدرس بلجنة ملبس الميا

---

(١) طفلة يتيمة تقبلها جدتها يوم العيد فأثر المنظر في نفس الكاتب وأوحى إليه شعوره هذه الكلمة .

الشباب والكتب

فوق مكتب بحجرة نوم صديق الشاب . قد وضعت عدة كتب تكاد جميعها تكون من صنف واحد . وترمي إلى غرض واحد — هي ليست أدبية كما يسمونها ، ولا مسلية كما يدعون ولا طريفة كما يزعم أصحابها — فبين سطورها قد هتك ستر الأدب والخمر قناع الفضيلة ، ومن كلماتها ما تعمل في النفس الماجنة بل والمهذبة عمل الكؤوس في الرءوس أو أشد ، وكم كانت دهشتي عندما أبصرتها قد فقدت جدتها ، وصارت بالية من كثرة المطالعة فيها ، فأوهمت صاحبي بأني قد درست هذه الكتب وأمثالها من مدة ، ولم يفب عن بالي منها شيء ، ثم ناقشته في بعض جمل وقعت تحت نظري عندما تصفحتها ، فبدأ يشرح ويسهب في البيان ، ويفاوق في حديثه بشدة ولياقة وتمثيل ، وأنا عنه في دهشة وذهول لما شهدت من حاله وتبينت من تغيره ، وأخيرا قطعت عليه حديثه وسألته إن كان عنده من المؤلفات غير هذا الصنف ، فذكر لي أسماء لعدة كتب في مختلف الفنون طلبت منه بعضها ، فوجدته مماسك الورق لم تمتد إليه يد ، ولم تطلع عليه عين ، وإن كان الغبار قد علاه ، والعنكبوت قد كساه فنظرت إليه نظرة يدرك هو مغزاها . فطفت حمرة الخجل على وجنتيه ، ولكنه تشجع وقال هذه يا عزيزي كتب الشباب . وخليق بأمثالنا أن يطالعها ويتعرف أمرارها ، حتى يكون دائما بمأمن من السقوط في مثل مهاويها ، والحياة تتطلب منا بحثا ومعرفة — وجدير بمن لم يعرف مواضع الشيء أن يقع فيه ، وفوق ذلك فهي مسلية وبها نقتل الوقت . هذا حق يا صديقي وأقرك عليه لو أنها لم تنتقل بك إلى أبعد من هذا الحد ، وتطوح بك في مهاوي لا قرار لها ولا خلاص منها — هذا حق لو لم تجعلها شغلك الشاغل ، تقرؤها على سريرك وتتسلى بها قبل نومك ، وتقف كثيرا وتتأمل ، ويسرح بك الخيال ، وتزين لك النفس الشيطانية لذة القراءة والتعمق فيها ، ويغريك الشباب على مواصلتها ، فتتغلب عليك معرفتك وتسقط بجريمة بحثك ، ولا أظنها إلا قاتلتك قبل أن تقتل بها وقتك .

وجم صاحبي وطأطأ رأسه طويلا كأنما يستعرض أمام خاطره ماضيه الهادئ وشبابه الغض ، وحياته الطلق ، وحياءه ووقاره ، ويقارن بينه وبين حاضره المايث وشبابه المحطم ، ومستقبله القاتم — ثم رفع رأسه وقال « وماذا أعمل فيها ؟ » قلت النار أولى بها — ثم تركته وذهبت إلى مكتبة . وسألت فيها عن هذه الكتب ، فنفرني من مواقعها ، وأحضروا لي بعضا منها ، فوجدتها رديئة الطبع ، غالية الثمن ، ومع ذلك فتجارتها رائجة ورابحة ، والشباب مقبل عليها ، ويطالعها في شوق ويقتنيها بشغف . ويقدمها على عمله وواجبه . والمكتبات توزع منها أضعاف ما توزعه من كتب العلوم والفنون .

ومما هو جدير بالذكر في هذا المقام ، أن دخلت علينا خادمة تحمل كتابا صغيرا وتدفع به إلى صاحب المكتبة . وتطلب استبداله كما أمرتها سيدتها فسألتها عن السبب فقالت . إنه

كتاب كله حكم ومواعظ ، لا شأن لنا بها . فسلمها البائع بدله ما رغب فيه وانصرفت . .

هذه حقائق شاهدتها بنفسي ، وأثبتها هنا ليقف الجميع على خطورة تلك الكتب ، وضررها على الأخلاق .

فيأيها الكتاب والمؤلفون . رفقا بالشباب فهو دعامة الأمم ، رفقا به فهو المرجى للحياة ، احفظوا عليه أخلاقه وطهارته . وصونوا شرفه وعفته . قلموا منه هذه الأظفار ، واستأصلوا هذه النابتة ، وسدوا عليه مسالك الغواية ، ولا تستقوا سورته وطيشه لربح زائل ومتاع قليل . قوموا اعوجاجه وأصلحوا ما تلف منه ، وحولوا بينه وبين شهواته ، ولا تجعموا بين النار والحطب ، واكتبوا كثيرا وادعوا طويلا . إلى محاربة هذه الرذائل ، وحصنوه بدروع تصد عنه شر هذه السهام ، واصرفوا جهودكم إلى النافع المفيد له ، تصرفوه عن غيه إلى رشده وجده ، وترجموه قوة عاملة . فوالله ما لكم من قوة تعزون بها غيره .

(شبين الكوم) محمد فتحي عرفوش

المدرس بمدرسة طنطا الثانوية

حكم مأثورة

لا خير في صحبة من لم ير لك من الحق مثل ما ترى (حديث شريف)

وجدت ركوب الأهوال وتجشم الأسفار البعيدة في طلب الدنيا أهون علي من بسط اليد إلى السخي بالمال ، فكيف بالشحيح به ! (بيدبا الفيلسوف)

خير للإنسان أن يبلى في العمل من أن يصدأ بالبطالة (كيرلند)

إن ساعة الشدة هي الساعة التي تتجلى فيها سمو الأخلاق (بابا كرفت)

ما العالم إلا بحر زاخر ، وما الناس إلا أسماكه الملتحمة فيه ، وما ريب المنون إلا صياد يحمل شبكته كل يوم ويلقيها في ذلك البحر فتمسك ما تمسك وتترك ما تترك ، وما ينجو من شبكته اليوم لا ينجو غدا (المنفلوطي)

(الواسطى) محمد عشرى